"مرجع أكسفورد في الدراسات القرآنية"

حين ظهر كتابُ "دراسات قرآنية" لجون وانسبرو (John Wansbrough) سنة 1977م، كان من الميسور الوقوفُ على دلالة هذا العنوان الذي يُومئ إلى مجموعٍ من الدراسات التي تتناول القرآنَ وتفسيرَهُ. على أن هذا الاصطلاح نفسَه الوارد في عنوان الكتاب المرجعي المعنون بـ "مرجع أكسفورد في الدراسات القرآنية" (وهو الكتابُ الذي سنشير إليه من الآن فصاعدًا بـ"المرجع") يحمل معنًى مغايرًا، إذ أمسى الآن دالًّا على مبحثٍ معرفيٍّ مستقلٍّ بذاته، أو على الأقل صار دالًّا على حقل فرعي أساسي من حقول الدراسات الإسلامية.

وقد برز هذا التعبيرُ الاصطلاحيُّ [وأعني به "الدراسات القرآنية"] بوجه خاص في العالم الناطق بالإنجليزية، وإن كان ثمة تطوراتٌ مشابهةٌ وقعت في بعض الأقطار الأخرى. فثمة ابتداءً دوريتان للدراسات القرآنية تَصْدُران بالإنجليزية، بالإضافة إلى جمعية أكاديمية واحدة على الأقل، وطائفة من المؤتمرات والحلقات النقاشية التي تُعْقَد على نحو مطرد في موضوع "الدراسات القرآنية". وهذا كلُّه أمرٌ جديدٌ نسبيًّا.

وفي الحق أن مصطلح "علوم القرآن" كان موجودًا منذ أمدٍ بعيدٍ. فهل تُعَدُّ لفظة "دراسات" الامتدادَ المباشرَ لكلمة "علوم"؟ لستُ أدري كيف يمكن الإجابةُ عن هذا السؤال، بيد أنه من المفيد أن نقارن كتاب "مرجع أكسفورد في الدراسات القرآنية" بالمصنَّف الكلاسيكي (الصغير نسبيًّا) "الإتقان" لجلال الدين السيوطي (ت911هـ/1505م)، الذي يندرج تحت فنِّ "علوم القرآن".

الإتقان في علوم القرآن للسيوطي

و"الإتقانُ في علوم القرآن" عملٌ فيلولوجيٌّ في العموم؛ فهو يُعالج النصَّ القرآنيَّ، ويتناول طريقة استعماله للغة، ويُولي اهتمامًا فائقًا لإثبات النص وروايته (فكيف أُوحي به؟ ثم كيف جُمِعَ؟ ومتى؟ وأين؟ وفي بعض الأحيان لماذا؟)، ويوضِّح لنا كذلك كيف نفهمُ معانيَهُ، ولا سيما من حيثُ تفسير مقاصد آياته المختلفة وتبويبها. فهذا الكتابُ إذن لا يفسِّر لنا القرآنَ، ولكنه يَقِفُنَا على ما ينبغي علينا معرفتُهُ حتى يستقيمَ لنا هذا التفسيرُ. زِد على ذلك أنه يُصَوِّر سماتِ الأسلوب القرآني وخصائصَهُ البيانية، عن طريق السَّبْر والتقسيم عادةً.

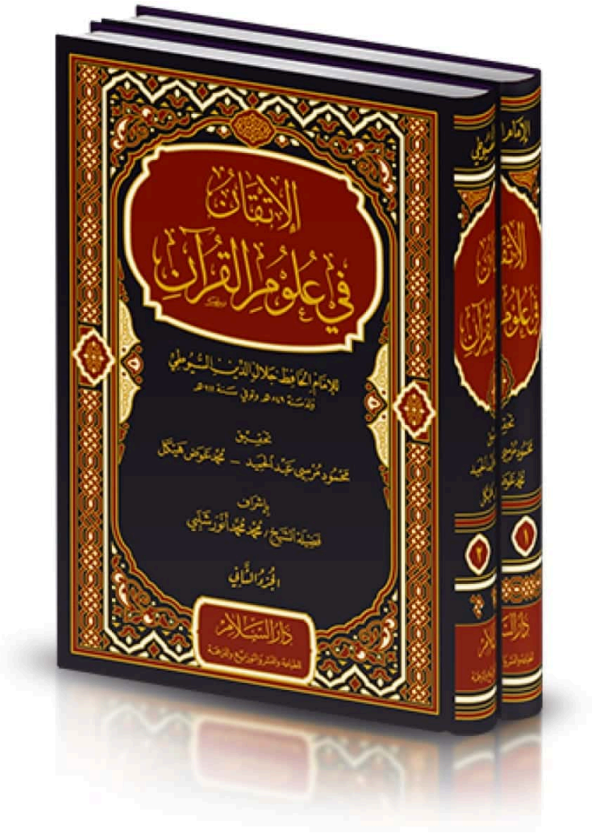

الإتقان في علوم القرآن للسيوطي

وأما كتابُ "مرجع أكسفورد في الدراسات القرآنية" فيتناول -من حيثُ المبدأ- الموضوعات نفسَها، وإن كان من الواضح أنه يستجيب لطائفة من الشواغل هي أشد اختلافًا وأرحب نطاقًا من شواغل القُرَّاء الذين كان السيوطيُّ يخاطبهم. ومن المحقَّق أن الفيلولوجيا العربية ظلت تلقي بظلالها على الكتاب، وإن لم تكن مهيمنةً تمام الهيمنة. ويتمثَّلُ وجهُ الاختلاف الأوضح بين "الإتقان" و"المرجع" في أن هذا الكتاب الأخير بدا في العموم أقلَّ اعتناءً بالنص القرآني في ذاته؛ إذ صَرَفَ عنايتَهُ إلى كيفية فهم الناس له.

أبواب مرجع أكسفورد في الدراسات القرآنية

وينتظم كتابُ "مرجع أكسفورد في الدراسات القرآنية" ثمانية أبواب، يمكن إدراجُهَا تحت مجالات الاهتمام الأساسية الآتية: الأول: الوضع الراهن لحقل الدراسات القرآنية، أي: دراسة القرآن في الجامعات الأوروبية والأمريكية (دون سواها). الثاني: الأصول المُمْكِنة للقرآن وسوابقه المحتملة، سواء في اليهودية أو المسيحية أو الجزيرة العربية قبل الإسلام أو أواخر العصر القديم على العموم. الثالث: إنشاء النص المادي ونشره في المخطوطات والمطبوعات وخطوط الكتابة والنقوش (ويشمل ذلك هاهنا الترجماتِ، بالإضافة إلى الاقتباسات القرآنية في الشعر وغيره من فنون الأدب والكتابة). الرابع: الأسلوب والمضمون. الخامس: التفسير والشروح.

وتشتمل هذه الأبوابُ الثمانيةُ على سبعة وخمسين فصلًا توفَّر على تأليفها ما يربو على خمسين باحثًا. ومن الواضح أنه لن يتأتَّى لنا -في مراجعة مُوجَزة كهذه- أن نَحْكُم على محتويات كتاب " مرجع أكسفورد في الدراسات القرآنية" حُكْمًا مُنْصِفًا، بيد أنني أستطيع أن أقول أن "مرجع أكسفورد في الدراسات القرآنية" : كتابٌ رفيعُ المستوى في الجملة، وإنني قد أفدتُ من فصوله السبعة والخمسين كلِّها تقريبًا.

أقسام مرجع أكسفورد في الدراسات القرآنية

والحقُّ أن بعض فصول "مرجع أكسفورد في الدراسات القرآنية" تَصْلُحُ أن تكون مقدماتٍ طيبةً للموضوعات التي عَرَضَتْ لها، في حين أن كثيرًا من فصوله -إن لم يكن معظمها- تَنْهَجُ نهج سلسلة الكتب المرجعية التي أصدرتها أكسفورد؛ فتقدِّم "استقراءً أمينًا وافيًا للبحوث الأصيلة"؛ إذ "تسوقُ الشخصياتُ الرائدةُ في هذا المبحث المعرفي نظراتٍ نقديةً لتطور المناقشات ووجهتها، بالإضافة إلى ما تقدِّمه من أساس للأبحاث المستقبلية".

وعلى هذا النحو، فإن شطرًا عظيمًا من هذا كتاب "مرجع أكسفورد في الدراسات القرآنية" يتألَّف من استعراض للمراجع، في حين تمحَّضت بعضُ فصولِهِ لدراسة المناقشات الدائرة في الآونة الأخيرة. وينطوي ذلك على خطر الوقوع في شيءٍ من التقادُم (الأمر الذي يمهِّد السبيلَ –بلا شكٍّ- لإخراج طبعة ثانية منقَّحة من كتاب "مرجع أكسفورد في الدراسات القرآنية")، بيد أنه يَفِي مع ذلك بالغرض الذي يرمي إليه الكتابُ وفاءً حسنًا؛ لأن الدراسات القرآنية اليوم تضمُّ طائفة مختلفة غاية الاختلاف من التخصُّصات.

ولستُ أدري على وجه اليقين إلى أي مدى يَحُدُّ نمطُ "مراجعة الدراسات الراهنة" من فائدة الكتاب للوافدين الجُدُد إلى هذا الحقل، أو يجعل هذه الفائدة أمرًا ميسورًا؛ إذ يختلف مقدارُ الفائدة من فصل إلى آخر، ولكن من المؤكَّد أن القُرَّاء الذي يتمتعون بشيءٍ من الخلفية [في الدراسات القرآنية] سيجدون هذا كتاب "مرجع أكسفورد في الدراسات القرآنية" أعظمَ نفعًا من أولئك الذين يفتقرون إلى مثل هذه الخلفية.

ويُحَدِّدُ الراحل أندرو ريبين (Andrew Rippin) في الفصل الأول من كتاب "مرجع أكسفورد في الدراسات القرآنية"، والموسومِ بـ"الدراسات الأكاديمية والقرآن"، وجهةَ الفصول التالية؛ إذ يشير إلى الطبيعة الملتبسة لمصطلح "البحث الأكاديمي"، والصعوبات التي تعترضُ تعريفَهُ.

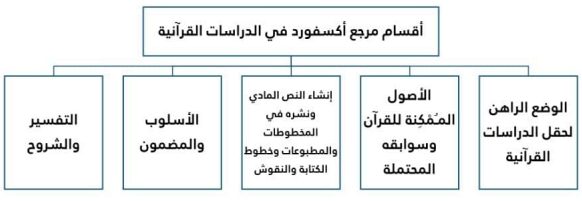

ومدارُ هذا الفصل على دراسة العلاقة بين الدراسات الأكاديمية للقرآن والمعتقد والجدل والدفاع، وهي الأمورُ التي تبدو في الغالب كأنها لوازمُ مُصَاحِبَةٌ لهذا الدرس. ويشير ريبين -بحقٍّ- إلى ضرورة الوقوف على تاريخ الجامعة، ودراسة العربية والإسلام في الغرب، وهي الدراسة التي كانت في الأصل محاولة مسيحية خالصة (حيث الجدل بين الطوائف والأديان، واصطناع العربية بغية الارتقاء بفهم اللغة العبرية التوراتية)، إلا أن هذه الدراسة شهدت منذ ذلك الحين تحولاتٍ هائلةً (ومن جملة هذه التحولات ما أسهم به كثيرون ممن يَعْتَزُونَ إلى المجتمعات الإسلامية)، واحتملت -بالنسبة إلى البعض- وصمة أصولها المعادية للإسلام.

فإذا احتكمنا إلى الفصول التالية، تبيَّن لنا أن الدراسات القرآنية تتجاوز هذه العَثَرات المحتملة تجاوزًا حسنًا. وبينما يتصوَّر أولئك الذين لا صلة لهم بالبيئة الأكاديمية أو يعيشون على هامشها مشهدًا واقعيًّا من مشاهد العصور الوسطى يَسُودُهُ الجدلُ وتغلب عليه المناظراتُ الدينيةُ، فإن الأمور من الداخل تبدو هادئة مستقرة إلى حدٍّ ما. وبعيدًا عن الانقسام بين المسلمين وغيرهم، وبين أصحاب النزعة الدينية وأولئك الشُّكَّاك، وهو انقسامٌ عَصِيٌّ على الحلِّ كان بوسع المرء أن يتوقعه منذ ثلاثين أو أربعين عامًا، فإننا نجد اتفاقًا عامًّا على ما يُشَكِّل بحثًا علميًّا رصينًا.

ويتضح النزاع والشقاق على خير وجه في فصول كتاب "مرجع أكسفورد في الدراسات القرآنية" التي تناولت أصول هذا النزاع والشقاق وعالجت آثاره؛ إذ يَسَعُ المرء مثلًا أن يجد بعض المواقف المتباينة تباينًا جليًّا حول أثر ثقافة العصر القديم المتأخر في النص القرآني.

ولا ريب أن هناك مجالاتٍ أخرى للخلاف؛ كالعلاقة المبكرة بين اللسانيات والتفسير، ولكن هذه المجالات لا تقتضي الدرجة نفسها من الانفعال العاطفي التي تقتضيها المسائلُ المتعلقة بالنشأة والأصول.

والحقُّ أن كتاب "مرجع أكسفورد في الدراسات القرآنية" بدا أرحبَ نطاقًا وأسمحَ طبعًا من كتاب "الإتقان"؛ إذ أفرد حيِّزًا للصوفية والإباضية والفلاسفة، والفرق الشيعية على اختلافها (وانظر مثلًا قول السيوطي: "وأما كلامُ الصوفية في القرآن فليس بتفسير").

وإذا نظرنا إلى طائفة الأعمال المرجعية الجامعة في حقل الدراسات القرآنية، ألفينا من ناحية كتاب "دراسة القرآن" (The Study Quran) (2016م)، الذي يبدأ التاريخُ عنده بسنة 610م، وألفينا من ناحية أخرى كتاب "قرآن المؤرخين" (Le Coran des historiens) (2019م) الذي ربما ينتهي التاريخُ عنده -فيما أظن- أواخر العصر الأموي. وكلاهما عملٌ علميٌّ يتمتَّع بكثيرٍ من المزايا، بيد أن قارئ أحدهما سيجد شيئًا من الصعوبة في التعرف على القرآن الذي يشتمل عليه الآخرُ.

إنصاف شديد وتجرُّد بالغ

ويمتاز "مرجع أكسفورد في الدراسات القرآنية" بالإنصاف الشديد والتجرُّد البالغ. ولقد يَسَعُنا أن نقف فيه على ميل عام نحو رأي المسلمين "التقليدي" حول نشأة القرآن وأصالته (أي إنه ينطوي على تشكُّك عام في النظريات التي طرحها أصحابُ مدرسة المراجعات، وأثر الموروثات غير الإسلامية فيه)، وغلبة الفصول التي تعالج الموروث الفكري الإسلامي ما قبل الحديث (ومن اللافت للنظر أنه يخلو من فصل عن القراءات، كما أنه لا يشتمل إلا على النَّزْر اليسير فيما يتصل باستخدام القرآن في أعمال السِّحْر والطلسمات وما أشبه، إن كان ثمة ما يشتمل عليه في هذا الباب).

على أن جُلَّ الموضوعات ووجهات النظر ظفرت بموطئ قَدَم في الكتاب. والحقُّ أن كتاب "مرجع أكسفورد في الدراسات القرآنية" بدا أرحبَ نطاقًا وأسمحَ طبعًا من كتاب "الإتقان"؛ إذ أفرد حيِّزًا للصوفية والإباضية والفلاسفة، والفرق الشيعية على اختلافها (وانظر مثلًا قول السيوطي: "وأما كلامُ الصوفية في القرآن فليس بتفسير")

ولم يَنْحُ من فصول "مرجع أكسفورد في الدراسات القرآنية" منحى الدفاع والتبرير الصريح إلا ثلاثةُ فصول، بمعنى أنها قصدت إلى الدفاع عن صحَّة تفسيرات بعينها؛ وهي: "الجهاد والقرآن: التفاسير الكلاسيكية والحديثة"، و"المرأة والقرآن"، وكلاهما لأسماء أفسر الدين (Asma Afsaruddin)، و"طرح القرآن بمعزل عن السياق" لمحمد عبد الحليم (وهذا المقال الأخير لا يُصَحِّح ترجمات المترجمين الإنجليز فحسب، ولكنه يصوِّب أيضًا بعضَ الأخطاء التي وقع فيها البيضاويُّ والسيوطيُّ).

التهميش النسبيّ لأشكال التقوى

ويشير وليد صالح إلى أنه لما كان التفسيرُ قد نشأ وتطور بوصفه فنًّا أنتجته نخبةٌ مثقفةٌ وتداولته فيما بينها، فقد كان منبتَّ الصلة بشواغل جمهور المسلمين وعلاقتهم بالقرآن، وهي شواغل وسمتها التقوى بميسمها القوي (ص672)، وهي مسألة سبق إيضاحها. ويتضح ذلك في كتاب "مرجع أكسفورد في الدراسات القرآنية" أحسن ما يكون الوضوح؛ إذ يركز على النصوص العلمية قبل العصر الحديث، ولا سيما نصوص التفسير، بالإضافة إلى التهميش النسبيِّ لأشكال التقوى على اختلافها، والأصول والتأثيرات ما قبل الإسلامية المحتملة، والحداثة في العموم. وإنني أشدد هنا على لفظة "النسبي"؛ لأن هذه الموضوعات لها حضورُهَا في كتاب"مرجع أكسفورد في الدراسات القرآنية"، وقد عالجتها بعضُ فصوله معالجة ممتازة.

والواقع أننا جميعًا ندرك التحديات التي تثيرها الحاجةُ إلى تحسين معرفتنا بسياق القرآن في العصور القديمة المتأخرة، وإن كان استحداثُ شعورٍ حدسيٍّ بالموضوعات أبعد منالًا ومن الصعب تحديده.

ومن الأبواب غير التقليدية (التي ربما لم يعترف بها السيوطيُّ، بهذه الصفة على الأقل، اللهم إلا بعض الاقتباسات اليسيرة) استعمالاتُ القرآن في "القرآن والتقاليد الأدبية العربية في العصور الوسطى" (جيرت جان فان جيلدر) (Geert Jan van Gelder)، و"القرآن والشعر العربي" (شتيفان شبيرل) (Stefan Sperl)، و"التقليد الأدبي الغربي والقرآن" (جفري آينبودن) (Jeffrey Einboden)، و"الثقافة الشعبية والقرآن" (بروس لورانس) (Bruce Lawrence). ويضمُّ هذا الفصلُ الأخيرُ بعض الاقتباسات التي تشكل تناقضًا مثيرًا للاهتمام مع الفصول الثمانية عشر التي تتناول التفسير والشرح:

"هناك نظامٌ إيقاعيٌّ في القرآن كله. أتفهم قصدي؟ ويَثْبُتُ سريعًا في ذاكرتك. ثم تبدأ في الارتباط به ارتباطًا قويًّا عبر التلاوة والترتيل. فمثلًا، تتعلَّم سورة الإخلاص، وتتعلَّم سورة الفاتحة. تتعلَّمها ثم تشرع في تلاوتها وترتيلها. وهكذا، حتى تُتقنها، وتتلوها من حفظك، وتبدأ فهم الأمور. هنا تنشأ علاقةٌ أقوى مع ما تقرؤه. {أعوذ بالله من الشيطان الرجيم} رائع، هل تَعِي ما أقوله؟ [موسيقى الهيب هوب تفعل الأمر ذاته على مستوى شعري]" (ص582).

حدود التقليدي والفيلولوجي

ومن الواضح أننا في هذا المقام على تخوم الدراسات القرآنية كما يجري تصوُّرُهَا في العموم. والحقُّ أن الحدود بين التخصُّصات تتسم عادةً بشيءٍ من التحكُّم والاعتساف، ومن المهم ملاحظةُ تلك المواضع في كتاب "مرجع أكسفورد في الدراسات القرآنية"، إذ يبدو أننا نلامس حدود التقليدي والفيلولوجي.

ومن هذه المواضع ما ورد في الفصل المعنون بـ"القرآن والمسيحية"، وهو فصلٌ مثيرٌ جدًّا للاهتمام، توفَّر على كتابته نيل روبنسون (Neal Robinson)؛ حيث يُصِرُّ على الحاجة إلى فهم "الذهنية القديمة" حتى يتيسَّر لنا تقييم طبيعة التحويرات النصيَّة المقترحة (ص158). والواقع أننا جميعًا ندرك التحديات التي تثيرها الحاجةُ إلى تحسين معرفتنا بسياق القرآن في العصور القديمة المتأخرة، وإن كان استحداثُ شعورٍ حدسيٍّ بالموضوعات أبعد منالًا ومن الصعب تحديده. وثمة شيءٌ شبيه بذلك يعتري معظم البحوث الدائرة حول مبحث التفسير؛ فمن ذلك مثلًا أن مسائل النحو أو الكلام تُعَالَجُ بغير استيعاب تام للكيفية التي تنشأ من خلالها هذه المسائل، وكيفية تناول علماء النحو والكلام لها، قبل إدراجها في تفاسير القرآن.

وأما دراسةُ محمد عبد الحليم لمسألة "تعليق النَّسق" (في ذلك الفصل المهم المعنون بـ"الأدوات البلاغية والسمات الأسلوبية للقواعد النحوية القرآنية") فتتضمن مثالًا مختلفًا؛ إذ يذكر خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر، بالعدول من الطلاق إلى الصلاة، في قوله: {وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ. حافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ. فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ۖ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ} [البقرة: 237-239]، وهو عدولٌ يبدو مباغتًا ومُرْبِكًا.

ويشير عبد الحليم إلى أن القرآن يقول في موضع آخر: {يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم إن أنتم ضربتم في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان بالله إن ارتبتم لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله إنا إذا لمن الآثمين} [المائدة: 106]؛ حيث ورد الحثُّ على جمع أصحاب الشهادة -عند الارتياب في شهادتهم- لأدائها "بعد الصلاة".

ولذا فإن العدول يبدو أمرًا منطقيًّا تمامًا في السياق القرآني. ويضيف عبد الحليم جريانَ العادة في قريته بدلتا النيل في مصر على تسوية المنازعات بين العائلات بعد أن يُؤَدُّوا معًا صلاة العصر في المسجد؛ حتى ينتهوا إلى مزاج عام أكثر نزوعًا إلى الصلح والتوافق (ص339). وليس لي رأيٌ في أصول هذه الممارسة وعلاقتها بالقرآن، ولكن المثال يُعَدُّ تذكيرًا متواضعًا بمدى اتساع "الدراسات القرآنية"، وأن المنهج الأكاديمي في التفسير ذي النزعة النصيَّة لا يشير إلى هذا الاتساع إلا إشارة واهنة. وكان السيوطيُّ وأقرانه قبل العصر الحديث يمتازون بالتركيز على النص، وكان من الميسور تحديدُ موضوع دراستهم. بيد أن المرء حين يكون أكثر اعتناءً بكيفية تلقي النص، فإنه لا حدَّ تقريبًا تنتهي إليه الاحتمالاتُ الممكنةُ.

البحث العلمي والكتب التوليفية

وإذا كانت بعضُ المختصرات والكتب التوليفية [الجماعية] التي يشهدها الواقعُ الراهنُ للبحث العلمي عظيمةَ الفائدة، على نحو ما يُثْبِتُ هذا الكتابُ المرجعيُّ "مرجع أكسفورد في الدراسات القرآنية" الذي أصدرته أكسفورد (مرجع أكسفورد في الدراسات القرآنية)، أفلا تفضي هذه الأعمالُ أيضًا إلى الإضرار بالبحث العلمي، وتُشَكِّل مزيدًا من الضغط على الميزانيات المخصَّصة لعدد ضئيل من المكتبات التي تستطيع تحمُّل تكاليف هذه الأعمال؟

والحقُّ أن مؤلفات "علوم القرآن" لم تبلغ من الوفرة قطُّ ما بلغته المؤلفاتُ في العلوم الدينية الأخرى. ومن جهة أخرى، فإن "الدراسات القرآنية" جعلت تتزايدُ تزايدًا يلفت النظر ويُثير الإعجاب.

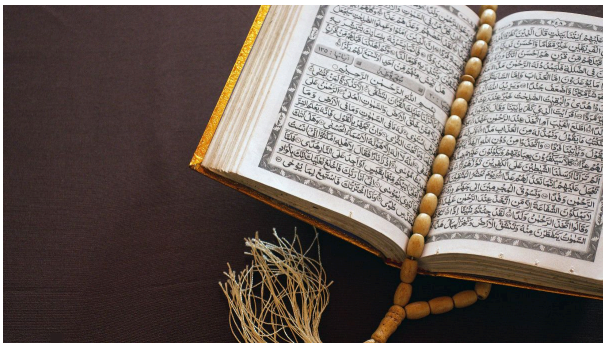

صورة مقال

ومبلغُ علمي أن هناك ثلاثة مشروعات أخرى مماثلة قيد الإعداد، وهذه المشروعات كلُّها متمحضة للقرآن و"دراساته"، سواءٌ أكانت لمحاتٍ عامةً جليلة الشأن أم أعمالًا مرجعيةً. والأهدافُ التي ترنو هذه المشروعاتُ إلى تحقيقها مختلفةٌ نوع اختلاف، ولستُ أدرى هل ستُؤْتِي ثمارها المرجوَّة أم لا، وإن كنتُ أتساءل: ألا ينبغي علينا أن نتوقف عند حدٍّ معينٍ لنسأل أنفسنا عن السبب وراء انتشار هذه الأعمال المرجعية والأدلة الإرشادية؟

وإذا كانت بعضُ المختصرات والكتب التوليفية [الجماعية] التي يشهدها الواقعُ الراهنُ للبحث العلمي عظيمةَ الفائدة، على نحو ما يُثْبِتُ هذا الكتابُ المرجعيُّ الذي أصدرته أكسفورد (مرجع أكسفورد في الدراسات القرآنية) أفلا تفضي هذه الأعمالُ أيضًا إلى الإضرار بالبحث العلمي، وتُشَكِّل مزيدًا من الضغط على الميزانيات المخصَّصة لعدد ضئيل من المكتبات التي تستطيع تحمُّل تكاليف هذه الأعمال؟ ألا تقع مراجعاتُ الدراسات الثانوية -إلى حدٍّ كبيرٍ- في منطقة متنازع عليها بين التدريس والبحث، وهي منطقةٌ تُحرِّكها قوى السوق وتغلب عليها السيرُ الذاتية؟

ثمة شعورٌ بين الأكاديميين ودُور النشر على حدٍّ سواء بما يقع عليهم من ضغوط تَسْتَحِثُّهم على النشر، ولكنني لستُ على يقينٍ من أن التواطؤ على الحدِّ من غُلَواء هذه الضغوط قد يُفْضِي إلى نتائجَ مُرْضِية. ولئن كان في ذلك شيءٌ من النفع لعملهم التجاري، فإنه ليس في صالحنا، بل إنه ربما يكون ضارًّا لكلا الطرفين على المدى البعيد. وإنني أظنُّ أن المشروعات الأخرى حين تظهر -إذا ظهرت- ستنعم بجودة عالية تماثل جودة كتاب "مرجع أكسفورد في الدراسات القرآنية"، ولكن ذلك لا يعني أننا ينبغي أن نشعر بالرضا على اتجاه النشر الأكاديمي.

إن القوى الفاعلة هاهنا لا سيطرة لنا عليها ونحن في هذا الركن الصغير من أركان العلوم الإنسانية، ولكن سيكون من النافع بلا ريبٍ أن نأخذها بعينِ الاعتبار.

بروس فيدج